الفكر الإسلامي
والتحديات التي تواجهه
في مطلع القرن الخامس عشر الهجري

للأستاذ أنور الجندي

لا ريب نشأ الفكر الاسلامى فى حضانة الدعوة الاسلامية له جذوره العريقة واصوله الاصيلة المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة واللغة العربية وسيرة الرسول وتاريخ الاسلام والادب العربى وقد اكتمل مفهوم الاسلام فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم « اليوم اكملت لكم دينكم » وقد كانت قواعد الفكر الاسلامى الاساسية قد بدأت ونمت فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم مستمدة من القرآن وان هذه القواعد لم تتغير من بعده ولم تجر أية اضافة اليه فظلت قيمتها الاساسية كما جاء بها وحى السماء والقرآن وسنن النبى فى تفسيرها وتطبيقها . وانما جرت حركة العمل من داخل الاطار الذى رسمه القرآن . ولقد كان اتصال المسلمين بالفلسفات اليونانية والفارسية والهندية تجربة قاسية انتهت بانتصار الاسلام بمفهوم (السنة الجامعة) وهزمت جميع محاولات التسيطرة والاحتواء والغزو الفكرى كما نسميه بلغة العصر وبقيت الحقائق الاساسية قائمة .

ان الاسلام ليس دينا كسائر الاديان ولكنه حركة اجتماعية واسعة تشمل الاعتقاد والمجتمع والدولة ومختلف نظم الاقتصاد والسياسة والاخلاق وان ميزة الاسلام انه نظرية كلية شاملة وانه لم يجزىء الحياة بل نظر اليها نظرة كلية كما نظر الى الانسان كوحدة نفسية وجسمية لا تنفصل .

وفى العصر الحديث وفى ابان الحملة الاستعمارية والصهيونية والماركسية واجه الاسلام تحديات خطيرة ابرزها :

اولا : اثارة الشبهات حول حقيقة الاسلام والتشكيك فى طبيعته الجامعة التى ميزته عن سائر الاديان وهو انه منهج حياة ونظام مجتمع واثارة الشبهات حول مفهوم الدين المنزل من السماء والوحى بصفة عامة والدعوة الى هدم الاديان عن طريق ما يسمى (علم الاديان) المقارن او القول بان الامم بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد بعد ذلك . وهو قول معارض للحقيقة التى جاءت بها الكتب المنزلة والتى تثبتها كل الدلائل التاريخية والكشوف الاثرية . وهى ان البشرية بدأت موحدة ثم اعتراها التغير واستسلمت للفكر البشرى الوثنى والمادى وان آدم ابو البشرية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان نبيا وهو موحدا . وهناك تلك الاطروحات الباطلة التي استمدها خصوم الاسلام من غير المسيحية بالقول بأن الاسلام دين عبادي وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نبيا روحيا وانه لم يكن حاكما وما اقام دولة وهو وهم باطل كشفت الابحاث الصحيحة عن فساده وعن ان الذين قالوا به انما استمدوه من المسيحية ومن مفاهيم الاستشراق المعادية للاسلام كذلك فان مفهوم التوحيد الذي عرضه بعض الاديان السماوية التي انحرفت تفسيراتها ليس هو مفهوم التوحيد الخالص الذي جاء به الاسلام . وان هؤلاء القوم يدعون ان لهم الها خاصا بهم ، اما الاسلام فيقرر ان الله تبارك وتعالى هو رب العالمين كذلك فان ما يدعيه البعض من توحيد اخناتون وغيره لم يكن في الحقيقة هو التوحيد الصحيح الذي جاءت به اديان السماء وان التوحيد كان دعوة اديان السماء المنزلة منذ آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم ولم تكن قاصرة على دين واحد هو الدين الذي انزل على موسى عليه السلام كما تحاول ان تطرح ذلك نظريات فاسدة .

وقد تداولت البشرية التوحيد الذي جاءت به الاديان رسولا بعد رسول ونبيا بعد نبي وفي خلال الفترات كانت تعود الى الوثنية والى الفكر البشري ولكنها كانت تعرف التوحيد منذ نشأة الحياة الانسانية.

وقد تميز الاسلام عما سبقه من مفاهيم حول الله تبارك وتعالى بأنه جمع بين توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، وانه غاير مفهوم الوثنية ومفهوم التعدد والتثليث والشرك وغيره بأن اقر المسلم بالله تعالى ربا خالقا وبكل ما قدر الله من امر وهو ما تمثله عبارة القرآن الكريم في فاتحة الكتاب « اياك نعبد واياك نستعين » .

ثانيا : اثارة الشبهات حول مفهوم الاجتماع الاسلامي ، في شأن طبيات القيم الاخلاقية وارتباطها بالدين والدعوة الى هدم الاخلاق عن طريق مذاهب الوجوديه والفرويديه وهدم الاسره عن طريق مذاهب تدعي ان الاسرة ليست الفطرة وتحاول هذه المذاهب التي عرفت باسم مدرسة العلوم الاجتماعية ان تشكك في ثبات القيم الاخلاقية وارتباطها بالانسان والدعوة الى اخلاق متطورة تختلف باختلاف البيئات والعصور.

ويدخل في هذا تلك النظريات التي طرحها فرويد وسارتر ودوركايم .

واخطر ما يواجه المسلمين من هذه النظريات الوافدة المطروحة في افق الفكر الاسلامي ان يظن البعض انها علوم ومفاهيم علمية مقررة والحقيقة انها مجموعة من الفروض التي قدمها بعض الفلاسفة والمفكرين وان كثيرا منها ثبت فساده وفشله وان ابرز ما يدلل على اضطرابها هو عجزها عن العطاء او عن الثبات مع الزمن او البيئة وعدم صلاحيتها للتطبيق بعد قليل مما جعل اصحابها ودعاتها يغيرونها بالحذف والاضافة ومع ذلك فهي من الفكر البشري الذي لا يثبت امام المفاهيم الربانية الحقة التي قدمها الاسلام في مجال النفس والاجتماع والاخلاق .

بل لقد تبين ان هذه النظريات الداعية الى التحرر من القيم الاخلاقية انما هي مفاهيم تلمودية قد صنعت بدقة في اسلوب علمي براق زائف وان بروتوكولات صهيون كشفت عن ذلك صراحة .

وان اغلب هذه النظريات انما كانت موجهة في الحقيقة ضد الدين الذي عرفته اوربا والذي لم يحقق لها استجابة صحيحة مع اشواق النفس الانسانية فحال بينها وبين ممارسة الحياة الاجتماعية الطبيعية حين فرض عليها « الرهبانية » ومن ثم كانت هذه الموجة العاتية التي يطلقون عليها ثورة الجنس للوصول الى اقصى الطرف الآخر في الاباحية وتحرير مفاهيمهم من اغلال المفاهيم المسيحية الجامدة . وهذه القضية بجملتها ليست مطروحة في افق الفكر الاسلامي الذي دعا دينه الى حق المتاع الدنيوي بالطعام والمراة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فى اوضاع صحيحة وضوابط كامله دون ان يحرم الانسان منها شيئ .

وقد كانت نظرية فرويد بالتفسير الجنسى للتصرفات الانسانية موضع نقد وتجريح من علماء النفس انفسهم فضلا عن معارضتها للفطرة الانسانية وقد تبين فى العصر الاخير ان العامل الجنسى ليس هو المصدر الاوحد للتصرف الانسانى ولكنه واحد من عوامل كثيرة منها تاكيد الذات ومركب النقص والايمان بالعقيدة ذلك الدافع الخطير الى الموت فى سبيل الحق .

ومن منطلق حرب اليهودية للجويم او للاممين كانت محاولتهم لهدم كل قيم الاخلاق والاجتماع والاسرة على النحو الذى قام به فرويد ودوركايم الذى كانت نظريته فى علم الاجتماع قائمة على انكار القواعد الاخلاقية وانكار ثبات القيم الاجتماعية والاخلاقية والدينية التى قررها الدين الحق وانكار فطرة الدين والاسرة والزواج ودوركايم هو الذى روج للنظرية القائلة بان الدين لم ينزل من السماء وانما خرج من الجماعة نفسها وهو يدعو الى ما يسمى بالعقل الجمعى الذى ينكر مسؤولية الانسان عن عمله والتزامه الاخلاقى الذى هو مصدر الحساب والجزاء الاخروى ، كما انه ينفى القداسة عن الدين والاخلاق والاسرة ويشكك فيها ويدعو الى تحطيم الدين لانه يعوق التطور ، هذه الافكار المسمومة التى روجتها التلمودية والفكر الغربى بعد ان سقط اسيرا للتلمودية، حاولون الان طرحها فى افق الفكر الاسلامى لاخراجه عن فطرته وذاتيته ومفهومه الربانى الجامع القائم على التوحيد والرحمة والاخاء البشرى .

ولعل من اخطر ما يواجه اليقظة الاسلامية فى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى هو هذه التحديات التى تتصل بالمجتمع والاسرة والطفل والمراة ، المستمدة من هذه النظرة المادية الخالصة التى يقوم على مفهوم علم الاجتماع وعلم النفس كما يدرس فى الجامعات حيث نشىء اجيالا يقوم عقليتها على اساس النظرة المادية الخالصة الى الانسان وحيث تنظر فى سخرية وامتعاض الى الاخلاق والدين والاسرة . ونرى ان هذا الذى تعلمه ليس مجرد نظريات لها مقابل فى الفكر الاسلامى اكثر اصالة واعمق نظرة بل هو من الحقائق العلمية والمسلمات التى لا مرد لها ، بينما هى لا تعرف وجه الحقيقة بالنسبة لمفهوم الاسلام الحق الذى هو فطرة الله . فطره الله التى فطر الناس عليها وهو المفهوم الذى يقرر ان الانسان روح وجسد وعقل وقلب وانه لا يمكن تفسيره عن طريق المذاهب المادية التى تعامله كالحيوان او المناهج التجريبية التى تعامله كالمادة الصماء . ولا ريب ان نظرية دوركايم فى علم الاجتماع حين تلتقى بنظرية فرويد فى علم النفس ونظرية ماركس فى الاقتصاد من شانها ان تشكل انسانا مضطربا مزعزع الوجدان .

ومن الصعب ان تبرز هذه المفاهيم فى مختلف مجالات الثقافة والتعليم والصحافة بينما تختفى مفاهيم الاسلام فى النفس والاخلاق وتتضاءل ولا تعرض حتى على انها وجهه نظر الامة التى تواجه تلك القضايا والتحديات بل لعله فى الحقيقة ليس هناك مفهوم اعمق واصدق اصالة من هذا المفهوم الاسلامى وان مفهوم الغرب كان مصدر الكارثة التى تحل بالبشرية اليوم لانفصاله عن الفطرة والعلم ودعوته الى الانشطارية بين الروح والمادة والعقل والقلب وهو مصدر التمزق والشقيان والغربة التى هى ازمة الحضارة الغربية المعاصرة .

ثالثا : من اخطر التحديات التى تواجه الفكر الاسلامى ما طرحه الفكر الوافد فى افقه من تفسيرات غربية وماركسية وصهيونية وهى جميعها تفسيرات مضللة مستمدة من التفسير المادى للتاريخ الذى طرحه انلجز وماركس وهو مفهوم ناقص لانه يتجاهل عوامل كثيرة لها اثرها فى توجيه التاريخ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ان تفسير التاريخ الاسلامى عن طريق مناهج التفسير الغربى هو بمثابة عجز عن النظرة الصحيحة لحركات ووقائع التاريخ الاسلامى فقد قاس الكتاب الغربيون الوقائع الاسلامية على ظروف الامبراطورية الرومانية وغيرها مع اختلاف الظروف والمقاييس . كذلك فقد كانت نظرة الغربيين الى تاريخ الاسلام ناقصة وقاصرة لانها صدرت عن ذلك الاعتبار الخاطىء بأن تاريخ الغرب هو تاريخ البشرية وان ما عدا ذلك ليس تاريخا ولا يدخل الى ساحة المقاييس او الصورة العامة .

واشد انواع الخطأ هى فكرة « الحتمية التاريخية » والجبرية » الاجتماعية التى يجرى تطبيقها على التاريخ الاوربى ، واشد ما عجزت عنه تفسيرات الغربيين للاسلام هى عجزهم عن فهم ذلك الجانب المعنوى والروحى : الوحى والنبوة والرسالة السماوية وما يتصل بها من بناء القوة القادرة بايمانها على هزيمة القوة المادية التى هى اكبر منها عدة وعددا !

وتتمثل المعالجة الغربية الظالمة لتاريخ الاسلام فى ان علماء الغرب فرضوا التقسيم الغربى للعصور التاريخية على تاريخ العالم وتعميم مقاييستهم فيها ، فالعصور الوسطى مثلا هى عصور الظلام فى رايهم ما دامت اوربا كانت فى الظلام متجاهلين الحضارة العربية الاسلامية التى كانت متالقة فى تلك العصور وتاريخ افريقيا المسوداء يبدأ عندهم حينما دخلها الرحالة الاوربيون ، اما قبل ذلك فليس لها تاريخ ، وتمتد هذه النظرة الى الفكر العالمى الذى هو عندهم الفكر الغربى .

وقد تجسدت هذه النظرة فى نظريات ولدت فى الغرب قسمت شعوب العرب الى فئات : دماء بعضها نقية زرقاء ، ودماء بعضها الآخر سوداء ، والى اجناس عليا واجناس دنيا .

ومن منطلق التفسير المادى للتاريخ عجز المؤرخون الاوربيون عن تفسيرات الاحداث الكبرى فى تاريخ الاسلام وخاصة تفسير سرعة انتشار الاسلام فما زالوا يعيشون ذلك بالمقياس المادى وكذلك انحسار المسلمين بالعدد الاقل على الروم والفرس بالاعداد الضخمة وهم يسقطون من حسابهم القوة المعنوية : قوة الايمان التى هى فى تقدير التفسير الاسلامى للتاريخ عامل مواز ان لم يكن اهم من القوة المادية .

كذلك فقد عجز كتاب الغرب ومؤرخوه عن ضبط النفس فى تقدير المواقف المشتركة كمعركة بواتيه والحروب الصليبية والاستعمار الحديث فانحرفوا فى تفسيرها مع اهوائهم ومع غرورهم واستعلائهم وبروح الاحتقار والانتقاص للشعوب الضعيفة والمستعمرة .

وكما حمل التفسير المسيحى للتاريخ روح الخصومة ، كذلك حمل التفسير الصهيونى للتاريخ الاسلامى روح الحقد ، وكان التفسير الماركسى للتاريخ اكثر حقدا وخصومة ، وقد عملت هذه التفسيرات على اعلاء شأن الحضارات القديمة والاديان الوثنية السابقة للاسلام او الادعاء بأن العرب كانوا ناهضين متحضرين ولم يكن ينقصهم الا قائد لينهضوا ونسوا ان العرب حاربوا الرسول ثلاثة عشر عاما ووقفوا بالخصومة ازاء كلمة الاسلام حتى فتح الله لها افقا جديدا فى يثرب .

رابعا : الدعوة الى اثارة العصبية والعنصرية واعلاء الاجناس البيضاء وذلك فى محاولة لفرض النفوذ الاستعمارى الغربى على الامم الملونة والقول بوصاية زائفة للجنس الابيض على العالم والبشرية .

كما عمدوا الى اذكاء رياح الدعوة الى الاقليميات والقوميات الضيقة للقضاء على روح الوحدة الاسلامية الجامعة بين الدول الاسلامية والعربية والتى كانت تجمعها تحت راية الخلافة الاسلامية سواء منها ما كان تابعا للدولة العثمانية (كالعرب والترك) او بقية البلاد الاسلامية التى كانت تدين بالولاء للخليفة المسلم امام المسلمين .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد حملت دعوات الاقليمية والقومية رياح العصبية والعنصرية الغربية وكانت محاولة خطيرة لوضع الحواجز التى تجمعها بها رابطة العقيدة والثقافة والتوحيد .

ولقد استهدفت هذه الدعوة فى البلاد العربية الى اعلاء طابع الاستعلاء الجنسى المغلق فى مواجهة الامم الاسلامية ، وخلق طابع الانعزال والانفصال الكاملين فى التاريخ والتراث والمقومات الاسلامية واستهدفت كذلك خلق وجود معاصر منفصل تماما عن الاسلام وعن العالم الاسلامى متصل بالغرب فى تفسيراته وقيمه وطوابعه .

لقد كان هدف هذه الدعوة اعلاء شأن القوميات حتى فى الامم الاسلامية ذاتها فضلا عن فصل هذه الامم عن الفكر الاسلامى وفصل العرب عن الامتداد الاسلامى .

خامسا : من اخطر التحديات التى واجهت الفكر الاسلامى احياء الماضى السابق للاسلام فى البلاد العربية والاسلامية جميعا ، كالدعوة الى الفرعونية والفينيقية والاشورية والبابلية فى البلاد العربية واحياء تراث كورش فى ايران او الهندوكية فى البلاد الهندية الاسلامية وغيرها فى باقى اجزاء العالم الاسلامى . كمحاولة لاحياء تاريخ ما قبل الاسلام وحضارته وتراثه الوثنى وتجديده . وقد جرت هذه الدعوات شوطا فى محاولة من النفوذ الاجنبى للقضاء على ذاتية الاسلامية ولكن الامر لم يلبث ان تكشف عن عجز كامل فى تحقيق عودة المسلمين الى تاريخ ما قبل الاسلام على اى نحو من الانحاء وتبين ان دعوة الاسلام بالتوحيد الخالص خلال اربعة عشر قرنا قد انشأت كيانا فكريا وروحيا واجتماعيا قويا عميق الجذور لا يمكن هدمه او النيل منه وان هناك ما عرفه علماء التاريخ بالانقطاع الحضارى بين ما قبل الاسلام وما بعده فى جميع البلاد التى دخلها الاسلام وانه فى مقابل هذا « الانقطاع الحضارى » فان هناك ما يسمى الاستمرارية الحنيفية الابراهيمية القائمة الآن فى البلاد العربية والاسلامية والممتدة منذ دعوة ابراهيم الى دعوة محمد صلى الله عليه وسلم والممتدة عبر الديانتين المنزلتين على موسى وعيسى عليهما السلام وان هذه الانقطاعية بين الدعوة الحنيفية فى تلك المناطق جميعا قد اشتملت على الفكر والثقافة والعقيدة بالرغم من معالم المدنية الحضارية المادية ، وتؤكد المصادر كلها على وجود الارضية العربية السابقة للاسلام فى مصر والعراق وسوريا وان الفينيقية والاشورية والفرعونية والبربرية وغيرها هى موجات خرجت من الجزيرة العربية وانزاحت فى هذه المنطقة شرقا وغربا وكانت توسيدا للموجة الاسلامية العربية الكبرى بعد الاسلام واستكمالا لها .

وقد تبين لدعاة هذه الحضارات الفارسية والفرعونية والفينيقية وغيرها انه لا توجد ارضية يمكن البدء منها سواء أكانت هذه الارضية تراثا ثقافيا او لغويا او دينيا وان هذه الجذور القديمة للغات السريانية والقبطية والعبرية وغيرها قد زالت وانتهت ولم يبق منها شىء وقد غلب عليها طابع التوحيد الخالص بمفاهيمه القرآنية الخالصة .

سادسا : جرت المحاولات لاحياء التراث الجاهلى والوثنى تحت اسم الفلكلور او الادب الشعبى وهى احدى المحاولات التى استهدفت التأثير فى نصاعة الفكر الاسلامى وروحه الربانية القرآنية الخالصة ، باعلاء تلك الصور الساذجة التافهة من الازجال والاغانى والمواويل والامثال العامية والوثنية البائدة التى تتعارض مع سمو التراث الاسلامى العربى القائم على البيان العربى البليغ والمضمون السامى وقد انتشرت هذه الدعوة فى السنوات الاخيرة وشملت اقطارا عربية واسلامية عديدة وخدعت كثيرا من البسطاء والسذج والاغرار فى مجال اللهو والتسلية فى محاولة لخداع الجماهير بأساليب تحمل طابع الرقص والغناء والاستعراضات المسرحية لاحياء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التراث الجاهلي والوثني الذى قضى عليه الاسلام قضاء تاما واعتبره من سقط المتاع وحطمه تحطيما لانه يتعارض مع مفهوم التوحيد الخالص ومن دعوة الاسلام للخروج من طفولة الانسانية والمفاهيم الجاهلية والبدوية الجافة والساذجة القائمة على الاساطير والخرافات وحيل العرافين واكاذيب الدجالين الى مفهوم اصيل فى الايمان بالله والتعرف الى آياته فى الكون والثقة بان الغيب لله تبارك وتعالى .

والهدف معروف هو تغليب الحامية والاساطير والقصص الشعبى والاغانى الساذجة والامثال العامية على البيان القرآنى وبلاغة السنة والادب الصادق والفن الرفيع والفكرة الانسانية ، فرتدادا بالعقول والنفوس التى رفعها التوحيد التوحيد الى ذروة الايمان بالله الى سذاجة الخرافة وفساد طفولة البشرية وابتعادا عن الصدق العربى الاسلامى المتسامى بالقرآن الكريم والحديث النبوى والادب العربى فى بلاغته وحكمة الاسلامية فى فصاحتها وارتفاعها عن التدنى والحيوانية والفساد . نعم : ان الذوق الاسلامى العامى فى الوان ضعيفة ساذجة وثنية تقلل من قدر بيان القرآن وترد الناس الى مستوى ضعيف يقطع الصلة بمستوى الثقافة الرفيع الذى خلقه القرآن وخلقته السنة ولا ريب ان هذا واحد من اهداف الدعوة الى العامية كما سيجىء .

سابعا : العمل على تبنى دعوات ضالة كالقاديانية والبهائية والادعاء بانها من حركات النهضة الاسلامية كذبا وبهتانا واستعمالها لضرب الاسلام من الداخل .

وتعمل القوى التغريبية جميعا ممثلة فى الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى عن طريق الصحافة والثقافة والمدرسة الى تبنى هذه الحركات الهدامة واحتضانها وخداع البلاد الاسلامية . ومن يعالج هاتين الدعوتين المبطلتين البهائية والقاديانية يعرف انهما استهدفتا ضرب حركة اليقظة الاسلامية التى كانت قد قطعت مرحلة كبيرة فى طريق العاشر المنابع الاصيلة وجوهر الاسلام بمفهوم التوحيد الخالص وان كلا الحركتين قد نشا فى احضان النفوذ الاجنبى واستهدف ضرب الاسلام فى اعظم قيمه الاساسيه وهى فريضة الجهاد . وقد كشفت الابحاث التاريخية عن علاقة اكيدة بين هاتين الدعوتين وبين الاستعمار والصهيونية والهندوكية .

وانهما حاولتا بث الفتنة وزعزعة العقائد واثارة الشبهات واضعاف شوكة المسلمين وتثبيط عزائمهم فى المكافحة ضد النفوذ الاجنبى والكيد للاسلام . وتضليل المسلمين عن حقيقة عقيدتهم وتفريق وحدتهم . ولم يعد هناك ريب فى ان هذه الطوائف الدخيلة تلقى المعونة والتوجيه من المستعمرين والقوى المعادية للاسلام تحت اسم ما يسمونه « حرب الاسلام من الداخل » .

وقد واجه رجال اليقظة الاسلامية كلتا الدعوتين منذ اليوم الاول وكشفوا عن فسادهما وزيف فكرهما وتمويهها التى خدعت بعض المسلمين ولا ريب ان الدارس للبهائية يجد هدف تعويض الاسلام من الداخل واضحا فى مخططاتها وتاريخها كله ، ويجدها واضحة العلاقة بالركام الباطنى القديم مجددة اياه فى اسلوب حديث براق . يغرى بعض السذج من ابناء امتنا الذين لم يستكملوا تعليمهم الدينى والخلقى . فضلا عن الارتباط بالصهيونية التلمودية كثمرة من ثمار البروتوكولات ومن هنا كانت دعوتها الى دين بشرى تنصهر فيه الاديان السماوية .

ثامنا : محاولة احياء الفكر الباطنى والوثنى والاباحى عن طريق احياء الفلسفات اليونانية والمسرحيات الاغريقية والاساطير البابلية والفكر الغنوصى وكانت بعض هذه الوثنيات قد ترجمت ابان العصر العباسى وادخلت الى مفهوم الاسلام كثيرا من البلبلة والاضطراب وقد واجهها المسلمون مواجهة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صارمة وكشفوا زيفها وردوها وبينوا ان الفلسفات اليونانية ليست الا علم الاصنام القديم وهاجموا كلا النظريتين (1) اليونانية الهلينية القائمة على الحس وعبادة الجسد والاباحية (2) الغنوصية الشرقية القائمة على الحدس والاشراق وغيرها وقد تجددت المحاولة فى العصر الحديث مرة اخرى فى محاولة القوى الاستعمارية والصهيونية والماركسية الى النيل من الاسلام واعادة طرح هذه المفاهيم مرة اخرى باحياء هذا التراث وتجديد شبهات الفلسفات والفكر الباطنى والتصوف الفلسفى والاعتزال والمجوسية وغيرها لاغراق شبابنا المسلمين فى هذه السموم وحتى يحال بينهم وبين مفهوم التوحيد الخالص بما يؤدى الى توهين روح الصمود فى نفوس المسلمين وتفسيخ القيم الخلقية الاسلامية بالدعوة الى اذاعة المجون والمجاهرة بالخلاعة والانحراف الجنسى وهو نفس الاسلوب الذى اتخذته حركة احتواء الاسلام ، كان ذلك فى الماضى لحساب المجوسية الفارسية ولتمكين القرامطة والباطنية من السيطرة على الدولة الاسلامية واليوم يجرى نفس المخطط لحساب الصهيونية والاستعمار والشيوعية .

تاسعا : محاولة اخراج اللغة العربية من مفهومها الذى تختلف فيه عن اللغات بوصفها لغة القرآن ، وفرض مناهج فى علم اللغات للتحكم فيها وتصويرها بانها لغة قومية فحسب ، اى لغة امة ، واذا هذا كمنهج علمى لكل لغات العالم فانه يعجز عن اقرار ذلك بالنسبة الى اللغة العربية لانها الى جانب انها لغة امة ، فهى لغة فكر وثقافة وحضارة دين ، وانها تتصل بمليار من المسلمين يعبدون الله بها ويقرأون بها القرآن والحديث .

ولا ريب ان هدف الحملة على اللغة العربية هو خلق عامية تقضى على لغة القرآن وتمزق وحدة الفكر الاسلامى .

ومن هنا تسقط كل محاولات الفكر الوافد فى اثارة الشبهات حول اللغة العربية ومقارنتها باللغة اللاتينية التى ماتت ودخلت المتحف ، بعد ان تفرعت منها لهجات اقليمية . وليس مثل هذا يمكن ان يحدث للغة العربية التى ما زال القرآن يظاهرها ويجعل ما كتبت به منذ اربعة عشر قرنا مقروءا الى اليوم بينما لم يحدث ذلك مطلقا لاية لغة من اللغات الحية التى تتغير كل بضعة قرون . فامرؤ القيس السابق للاسلام نقراه نحن الآن ونفهمه بينما شكسبير لا يفهمه قومه وقد مضى عليه ثلاثمائة عام تقريبا ، وهذه الظاهرة تجعل اللغة العربية اكبر من ان تخضع لعلم اللغات الذى يحاول ان يحكم على كل اللغات بظواهر عامة مشتركة .

وقد كانت اللغة العربية بطبيعة تركيبها وتميزها بالقدرة على الاشتقاق والتوالد عاملا هاما فى مكانتها. وقد وصفها (ارنست رينان) بانها خلافا لكل اللغات ظهرت فجاة فى غاية الكمال غنية اى غنى بحيث لم يدخل عليها حتى يومنا هذا اى تعديل مهم فليس لها طفولة ولا شيخوخة وانها ظهرت فى اول امرها تامة مستحكمة ومن خلال هذا الفهم علينا ان نواجه التحديات التى يطرحها التغريب من القول بتطوير اللغة او اعلاء شأن العاميات او الادعاء بانها لغة خاصة باصحابها وندرك ان هذه كلها محاولات ترمى الى :

اولا : عزل المسلمين عن العرب وعزل العرب عن الوحدة الكاملة بينهم .

ثانيا : عزل المسلمين والعرب عن مستوى البيان فى القرآن الكريم .

ولا ريب ان اللغة العربية جديرة بان تبقى دائما فى مستوى بيان القرآن الكريم وان يرتفع الناس اليها ولا ريب ان الدعوة الى اقامة لغة وسطى بين الفصحى والعامية هى احدى محاولات الغزو الفكرى وليس لها هدف الا انزال اللغة العربية درجة عن كيانها الذى يرتبط ببلاغة القرآن وبذلك تنهدم ركيزة من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ركائز الاسلام وهى حجب المسلمين عن فهم القرآن واستيعابه وهو أمر خطير وهام ويحتاج الى دوام المحافظة على بلاغة اللغة وروحها ، فاللغة أساسا هى فكر الامة والعربية الفصحى مرتبطة بذاتية الاسلام ومزاجه النفسى والاجتماعى .

عاشرا : الدعوة الى احياء الحضارات التى سبقت الاسلام واعادة عرض الوثنيات والفلسفات والخرافات والاوهام . وتلك محاولة ماكرة مضللة ولكنها فاسدة فقد استطاع الاسلام خلال اربعة عشر قرنا ان يقيم منهجا عقليا وروحيا وان ينشىء مزاجا نفسيا وذوقا خالصا مرتبطا بالتوحيد والقرآن ومتصلا باسباب الايمان بهالله له ضوؤه الباهر الذى لا تستطيع الظلمات ان تقهره .

حادى عشر : الدعوه الى ما يسمى بالادب العربى المعاصر ، والفكر العربى المعاصر ، والثقافة العربية المعاصرة ، على ان تبدأ هذه الدراسات منذ حملة نابليون وربطها بالارساليات والنفوذ الاجنبى كأنما هى من معطياته ، وهى محاولة ماكرة تهدف الى اجتثاث الفكر والادب والثقافة (العربية الاسلامية) من أصولها والفصل بين حاضر العرب والمسلمين وبين ماضيهم ، وخلق ثقافة « لقيطة » لا جذور لها بل ان هناك محاولة مضللة تهدف الى الحيلولة دون ربط الادب او الفكر او الثقافة بتاريخها القديم وماضيها العريق .

ومن الحق ان اليقظة الاسلامية المعاصرة فى الفكر والادب والثقافة جميعا بدأت من دائرة القرآن وان جميع الحركات الوطنية والقومية انما استمدت قوتها من مصادر الاسلام وانه لا سبيل الى بناء ادب حديث او فكر او ثقافة منفصلا عن اللغة العربية والاسلام .

ثانى عشر : محاولة الادعاء بأن منطقة البحر الابيض المتوسط شهدت حضارة واحدة هى التى بداها الفراعنة والفينيقيون ونماها الاغريق والرومان، ثم اتمها الاوربيون المعاصرون وان دور العرب فى هذه الحضارة كان دورا ثانويا . والحقيقة ان هناك حضارتان لكل منهما طابعه المميز هما حضارة التوحيد وحضارة الوثنية . وان الاسلام هو صانع الحضارة التى اتسمت بهذا المفهوم فى مواجهة حضارات بدأت بمفاهيم الوثنية وانتهت بمفاهيم المادية وكانت فى مختلف مراحلها معارضة للحق والعدل والرحمة والاخلاق فكانت تضرب واحدة بعد اخرى وتسقط لانها تعارض سنن الله فى الكون .

ثالث عشر : محاولة القاء بذور الشبهات حول صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق فى العصر الحديث والادعاء بأنها شريعة صحراوية موقوتة بعصرها وبيئتها . وكل الدلائل العلمية والتاريخية تكذب هذا الادعاء واقربها مؤتمرات القانون الدولى 1931 ، 1937 ، 1952 وكلها اشارت الى ان الشريعة الاسلامية شريعة مستقلة لها كيانها الخاص وانها تحمل منهجا انسانيا لم تصل اليها البشرية بعد وتجرى المحاولة التى يفرضها النفوذ الغربى بالدعوة الى ما يسمى تطوير الشريعة ووضعها موضع الاحتواء من القانون الوضعى .

ولقد كان من أعظم المصلبات التى حققها كثير من الاقطار الاسلامية انها اتخذت من التشريع الاسلامى مصدرا اساسيا للقانون ونصت على ذلك فى دساتيرها وميثاق الوحدة .

رابع عشر : استطاعت القوى الاستعمارية فرض نظام الاقتصاد الغربى على اغلب اجزاء العالم الاسلامى وهو نظام قائم على اساس الربا ومعارض اصلا لمنهج الشريعة الاسلامية ولقد قامت حركة اليقظة الاسلامية بدراسات واسعة للكشف عن فساد نظام الربا والاقتصاد الغربى وجرت محاولات متعددة لاقامة المصرف الاسلامى على غير اساس الربا والعمل على وضع نظام تحرير المسلمين من قيود النظام الاقتصادى الوافد والكشف عن عظمة الفكر الاقتصادى الاسلامى .

انور الجندى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com